إشكالية الإلهام بين المسيحية والإسلام

الأستاذة شهيناز سمية ابن الموفق
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية -قسنطينة

مقدمـــة:

كان لحركة نقد الكتاب المقدس نتائج سلبية على قدسية كتاب النصارى، فقد آمن المسيحيون لقرون طويلة بأن الكتاب المقدس كلمة الله الملهمة إلى الناس وأنّ التقليد وهو تناقل الإيمان وحياة الكنيسة، وبالتالي تناقل صلب العقيدة المسيحية بقي في جوهره سليما متواصلا بفضل عون الروح القدس الدّائم للكنيسة؛ إلى أن كشفت الدراسات النقدية عن حقيقة مخالفته لكل ذلك وجعلت سلطة الكتاب محل ريبة وشك. فأصبح التوفيق بين القول بإلهية الكتاب والاعتراف به كسلطة دينية عليا لا يعتريها الخطأ، وبين النتائج السلبية بشأن قدسيته وإلهيته مسألة صعبة جدا إذا لم نقل مستحيلة تماما!

ومع ذلك تسعى الكنيسة جاهدة لطمس هذه الحقيقة متلاعبة بالألفاظ الدينية للإبقاء على قدسية الكتاب المفقودة من ذلك تسميته بـــ "كلمة الله الملهمة" و"كلمة الله المعصومة"...إلخ

من هذا المنطلق نرى بأنه من الأهمية بمكان إزالة اللبس عن مفهوم الإلهام والتأييد بالروح من خلال دراسة نقدية مقارنة بين المسيحية والإسلام مستقرئين في ذلك منهج

علي بن ربن الطبري[1] في استدلاله بالشواهد الإنجيلية وابن تيمية في جوابه الصحيح بالبراهين العقلية والأدلة الحجاجية.

الإلهام في المسيحية أو مشكلة إلهية الكتاب:

يعتقد النصارى أن ملاك الله جبريل -عليه السلام- غير الروح القدس، ويستدلون على الفرق بينهما ببعض النصوص من كتابهم المقدس، التي تذكر ملاك الله جبريل أنه يأتي بالبشارة لمن يرسله الله إليهم، وأنهم بعد هذه البشارة يحل عليهم الروح القدس، وهذا هو دليلهم على الفرق بينهما.

واستنادا على هذا الفرق بينهما فإن جبريل في تعريفهم هو: «ملاك ذي رتبة رفيعة أرسل ليفسر رؤيا لدانيال، وبعث مرة في زيارة لنفس النبي ليعطيه فهما، وليُعلن له نبوة السبعين أسبوعا، وقد أرسل إلى أورشليم ليحمل البشارة لزكرياء في شأن ولادة يوحنا المعمدان، وأرسل أيضا إلى الناصرة ليبشر العذراء مريم بأنها ستكون أُمًا للمسيح، وقد وصف جبرائيل نفسه بأنه واقف أمام الله»[2].

ومن النصوص التي ذكرت بشارة ملاك الله جبريل لمن أرسله الله إليهم، ثم حلول روح القدس عليهم، بشارة جبريل لزكرياء بميلاد يوحنا وقوله له: «ومن بطن أمه يمتلئ من الروح القدس»[3]، وبشارة جبريل لمريم بميلاد المسيح وقوله: «الروح القدس يحل

1) علي بن ربن الطبري: 780م صاحب كتاب الدين والدولة وكتاب الرد على أصناف النصارى (وهو من المهتدين للإسلام) انظر:

Ali al tabari: Riposte aux chretiens Traduction française: Jean Marie Gaudeul Pontificio istituto distudi Arabi Islamica (P.I.S.A.I)ROMA 1995.

2) بطرس عبد الملك، إبراهيم مطر، ونخبة من الأساتذة: قاموس الكتاب المقدس، (ط13)، دار مكتبة العائلة: القاهرة-مصر، 2000م، مادة "جبرائيل"، ص 245.

3) لوقا 1: 5-15.

عليك»[1]، وحينما قامت مريم بزيارة "أليصابات" زوجة زكرياء وسلمت عليها: «فلما سمعت أليصابات سلام مريم ارتكض الجنين في بطنها، وامتلأت أليصابات من الروح القدس»[2]. وكذلك زكريا: «وامتلأ زكريا أبوه من الروح القدس»[3].

فهذه النصوص من أدلتهم على الفرق بين جبريل والروح القدس، ثم بعد حين من الزمن اعتقدوا ألوهيته، وقالوا في قانون إيمانهم إنّه: «الرب المحيي المنبثق من الأب، المسجود له والممجد مع الأب والابن، الناطق في الأنبياء»[4].

واستدلالهم بتلك النصوص مخالف لصريح المعقول وصحيح المنقول، وبيان ذلك:

1- أن الروح القدس في عقيدتهم هو الإله الذي حبلت منه العذراء مريم ببشارة جبريل لها لتلد المسيح (الابن)، فالأقنوم الثالث حل في بطن مريم لتلد الأقنوم الثاني (الابن)، وهذا الاعتقاد ظاهر البطلان، إذ كيف يكون الروح القدس جبريل-عليه السلام- وهو أحد الملائكة المخلوقين من الله -كما عرفنا حقيقته- يبشر مريم الإنسان المخلوق، بحلول الإله الروح القدس عليها، لتلد الإله المسيح، فهذا يتنافى مع مقام الإله سبحانه وتعالى الذي له الخلق والأمر، وهذا افتراء على الله، تعالى الله عن قولهم.

2- ثم -على فرض صحة قولهم- كيف يتجسد الإله الأعلى الأقنوم الثاني وهو المسيح من الإله الأدنى الأقنوم الثالث وهو الروح القدس، في بطن الإنسان المخلوق مريم، وهذا أيضا من الافتراء والقول على الله وعلى رسله وملائكته بغير علم.

1) لوقا 1: 26-35.

2) لوقا 1: 39-41.

3) لوقا 1: 67.

4) حنا الخضري: تاريخ الفكر المسيحي، (دط)، دار الثقافة: القاهرة- مصر، 1981م، (666/4)؛ زكي شنودة: موسوعة تاريخ الأقباط، (دط)، (دن)، (دت)، (143/1).

3- كما أنّ الروح القدس—حسبهم- هو الذي حل في أناس مختارين لكتابة الوحي الإلهي، فكيف يكون الوحي الإلهي من الله الأب، إلى الله الروح القدس، ومن ثمّ إلىَ أناس مختارين؟ وهذا أيضا من التناقض والافتراء[1].

4- كما أنّه في الانجيل أن أبا يحيى امتلأ من الروح القدس: «وامتلأ زكريا أبوه من الروح القدس»[2]، وكذلك أم يحيى حين زارتها مريم أم المسيح وسلمت عليها: «فلما سمعت أليصابات سلام مريم ارتكض الجنين في بطنها، وامتلأت أليصابات من الروح القدس»[3]، فهل يعني هذا أن الروح القدس -وهو الإله حسب عقيدتهم- حل أيضا في هؤلاء؟[4] تعالى الله عن قولهم علوًا كبيرا.

5- وإذا كان الروح القدس الإله في عقيدتهم، له كل هذه الأفعال والأعمال، فما هي فائدة وجود إله ثان هو المسيح، وما هو أثره في حياتهم؟ أليس من الواجب على النصارى حينئذ أن يتوجهوا في دعائهم إلى الروح القدس بدلا من المسيح الذي على زعمهم: «صعد إلى السماوات وجلس عن يمين الأب»[5]، والذي على زعمهم أيضا: «يأتي في مجده ليدين الأحياء والأموات الذي ليس لملكه انقضاء»[6]. وزعمهم هذا يخالف صريح المعقول وصحيح المنقول، فالمسيح -عليه السلام- أمرهم أن يتوجهوا في صلاتهم إلى الله وحده الذي له الملك والقوة والمجد إلى الأبد، قال عليه السلام: «فصلوا أنتم هكذا: أبانا الذي في السموات، ليتقدس اسمك، ليأت ملكوتك، لتكن مشيئتك،

---

1) عبد الله الشعبي: الروح القدس في عقيدة النصارى، (دط)، (دن)، (دت)، ص 35.

2) لوقا 1: 67-68.

3) لوقا 1: 41.

4) الروح القدس في عقيدة النصارى: مرجع سابق، ص 37.

5) تاريخ الفكر المسيحي: مرجع سابق، (670/4)؛ موسوعة تاريخ الأقباط: مرجع سابق، (143/1).

6) المرجعان نفسهما.

كما في السماء كذلك على الأرض، خبزنا كفانا أعطنا اليوم، واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر للمذنبين إلينا، ولا تدخلنا في تجربة، لكن نجنا من الشرير، لأنّ لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد آمين»[1].ثم قال لهم المسيح: «فإنّه إن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أيضا أبوكم السماوي، وإن لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم أيضا زلاتكم»[2]، وفي الإنجيل: «ونعلم أن الله لا يسمع للخطاة، ولكن إن كان أحد يتقي الله ويفعل مشيئته فلهذا يسمع»[3]، وقال المسيح عليه السلام: «ليس كل من يقول لي يا رب يدخل ملكوت السموات، بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السموات»[4]. هذه النصوص وغيرها، تفيد أن المسيح-عليه السلام- كان يأمر تلاميذه بالتوجه إلى الله في الصلاة وطلب المغفرة، لأن الله لا يستجيب لأحد ما لم يتقه ويفعل مشيئته، ولا أحد يدخل ملكوت السموات ما لم يفعل إرادة الله وحده. ولو كان المسيح، أو الروح القدس، لهم شيء من هذه الصفات الإلهية، لكان المسيح أولى بها من الروح القدس، فكيف والمسيح نفسه يأمر تلاميذه وكل المؤمنين به أن يكون توجههم لله دون سواه، قال المسيح عليه السلام: «لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد»[5]، وقال أيضا: «وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته، أنا مجدتك على الأرض، العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته»[6]. فالمسيح -عليه السلام- عبد الله ورسوله، كذلك الروح القدس هو رسول الله بالوحي للأنبياء،

1) متى 6: 9-13.
2) متى 6: 14-15.
3) لوقا 9: 31.
4) متى 7: 21.
5) متى 4: 10، لوقا 4: 8.
6) يوحنا 17: 3-4.

وبالنصر والتأييد لهم ولغيرهم من أولياء الله الصالحين.

6- كما أنّه في قانون إيمانهم: أن الروح القدس الرب المحيي المنبثق من الأب- حسب عقيدة الأرثوذكس- أو المنبثق من الأب والابن -حسب عقيدة الكاثوليك والبروتستانت- قولهم هذا فيه تناقض واضطراب، فكيف يكون الروح القدس ربا محييا وهو منبثق من موجد الحياة وهو الله سبحانه وتعالى، أو منبثقا من الأب والابن، والابن -حسب زعمهم- مولود من الأب، ومعلوم أن الابن متأخر عن وجود الأب، وهذا يعني أن الانبثاق من الابن جاء متأخرا، فهل هذا الانبثاق جاء على مرحلتين -هذا على فرض صحة معتقدهم — والواقع أنهم لن يجيبوا على ذلك بأفضل مما جاء في قانون إيمانهم المقدس[1].

7- ثم إنّ الروح القدس المنبثق من الآب أو من الابن هو المسيح، والابن المسيح عندهم مولود من الآب، فهل الانبثاق والولادة شيء واحد أم يختلفان؟ وهم لن يقولوا إنّ المسيح مولود من الآب ولادة تناسلية من الله، ولا يعتقدون ذلك، بل سيقولون إن الولادة روحية، لأن المسيح -حسب اعتقادهم- هو الكلمة التي خرجت من الذات — وهو الله- فصارت الكلمة ابنا للذات، وصارت الذات أبا للكلمة، وصار كلٌّ من الذات والكلمة أقنومين، كلٌّ منهما قائمٌ بذاته، يدعى الأول الله الأب، ويدعى الثاني الله الابن[2]. والروح القدس -عندهم-، يمثل عنصر الحياة في الثالوث المقدس، ويعتبر أقنوما قائما بذاته، وإلها مستقلا بنفسه، والثالوث المقدس ثلاثة أقانيم هي: الذات والنطق والحياة، فالذات هو الله الأب، والنطق أو الكلمة هو الله الابن، والحياة هي الله الروح القدس، ويعتقدون أن الذات والله النطق أو الكلمة، والكلمة مولودة من الذات،

---

(1) الروح القدس في عقيدة النصارى، مرجع سابق، ص 41.

(2) محمد مجدي مرجان، الله واحد أم ثالوث، (د.ط)، دار النهضة العربية، القاهرة- مصر، (د.ت)، ص 104.

والحياة منبثقة من الذات أو من الذات والكلمة على خلاف بين الكنائس[1]. ويتضح أنه لا يوجد فرق بين معنى الانبثاق، ومعنى الولادة، إذا كانت روحية، فكلاهما: الابن —وهو الكلمة— مولود من الله، والروح القدس —و هو الحياة— منبثق من الله، فيلزم أن يكون الابن والروح القدس أخوين، وأن الله أبوهما، تعالى الله وتقدس عن ذلك.

يقول ابن تيمية رحمه الله: «فقولهم: المنبثق من الآب الذي هو مسجود له وممجد، يمتنع أن يقال هذا في الحياة الرب القائمة به، فإنها ليست منبثقة منه كسائر الصفات، إذ لو كان القائم بنفسه منبثقا لكان علمه وقدرته، وسائر صفاته منبثقة منه، بل الانبثاق في الكلام أظهر منه في الحياة فإن الكلام يخرج من المتكلم، وأما الحياة فلا تخرج من الحي، فلو كان في الصفات ما هو منبثق لكان الصفة التي يسمونها الابن، ويقولون: هي العلم والكلام أو النطق، والحكمة أولى بأن تكون من الحياة التي هي أبعد عن ذلك من الكلام. وقد قالوا أيضا: إنه مع الأب مسجودا له وممجدا، والصفة القائمة بالرب ليست معهم سجودا لها، وقالوا: هو ناطق في الأنبياء وصفة الرب القائمة به لا تنطق في الأنبياء. بل هذا كله صفة روح القدس الذي يجعله الله في قلوب الأنبياء، أو صفة ملك من الملائكة كجبريل، فإذا كان هذا منبثقا من الأب، والانبثاق الخروج، فأي تبعيض وتجزئة أبلغ من هذا، وإذا شبهوه بانبثاق الشعاع من الشمس كان هذا باطلا من وجوه، منها: أن الشعاع عرض قائم بالهواء والأرض، وليس جوهرا قائما بنفسه، وهذا عندهم حي مسجود له، وهو جوهر، ومنها: أن ذلك الشعاع القائم بالهواء والأرض ليس صفة للشمس، ولا قائما بها وحياة الرب صفة قائمة به، ومنها: أن الانبثاق خصوا به روح القدس، ولم يقولوا في الكلمة إنها منبثقة، والانبثاق لو كان حقا لكان الكلام أشبه منه بالحياة، وكلما تدبر أجهل العقلاء كلامهم في الأمانة وغيرها

1) المرجع السابق، ص 116.

وجد فيه من التناقض والفساد ما لا يخفى على العباد، ووجد فيه من مناقضة التوراة والإنجيل، وسائر كتب الله ما لا يخفى على من تدبر هذا وهذا، ووجد فيه من مناقضة صريح المعقول ما لا يخفى إلا على معاند أو جهول، فقولهم متناقض في نفسه، مخالف لصريح المعقول، وصحيح المنقول عن جميع الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم وسلامه أجمعين»[1].

معنى الإلهام والتأييد بالروح في الإسلام:

ثبت بالأدلة الصريحة، أنَّ الروح القدس هو جبريل، وجبريل هو الروح القدس، وعليه فإن زعم النصارى حلول الروح القدس على المسيح وحلوله على الملهمين من أتباعه دون سواهم باطل، وبيان ذلك فيما يلي:

1- أنه قد ثبت بالأدلة الصريحة، أن الروح القدس هو ملاك الله الذي يترل بالوحي الإلهي، وهو الذي يؤيد الله به أنبياءه ورسله، ومن يشاء من عباده وأوليائه الصالحين وأهل التوراة وهم اليهود يعلمون أن روح القدس هو جبريل عليه السلام: «ولكنهم تمردوا وأحزنوا روح قدسه، فتحول لهم عدوا وهو حاربهم»[2]، لذلك حرصوا على سؤال الأنبياء عن الروح الذي يأتي بالوحي من السماء، فإن كان جبريل: أعرضوا عن النبي ولم يسمعوا دعوته، وبيان عداوقم له وسؤالهم النبي ﷺ عن الذي يأتيه بالوحي، فلما أخبرهم النبي ﷺ أنه جبريل، قالوا: ذاك الذي يترل بالحرب وبالقتال، ذاك عدونا، لو قال: ميكائيل الذي يترل بالقطر والرحمة تابعناك، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ مَن

1) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، (دط)، مطابع المجد: القاهرة، ودار ابن خلدون: الإسكندرية-مصر، (2/159-160).

2) أشعيا 63: 10.

كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾[1].

2- إن جبريل -عليه السلام- هو روح الله الذي جاء في الإنجيل أن مريم: «وجدت حبلى من الروح القدس»[2]، وهو العلامة التي عرف بها يحيى عليه السلام المسيح أنه يرى: «الروح القدس نازلا ومستقرا عليه»[3]، وهو الذي أخبر الله عنه أنه أيد به المسيح عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾[5]، وهو الذي بأمر الله نفخ الروح: ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾﴾[6].

وهو أيضا الذي نزل بالوحي على النبيّ ﷺ، قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾[7]، وقوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ عَلَىٰ ﴿١٩٣﴾ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ

---

1) البقرة: 97-98.

والحديث رواه الإمام أحمد في مسنده: (273/1).

2) متى 1: 18.

3) يوحنا 1: 33-34.

4) البقرة: 87.

5) المائدة: 110.

6) الأنبياء: 91.

7) النحل: 102.

بِلِسَانٍ ﴿١٩٤﴾ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾[1]، وغير ذلك من الأعمال التي أوكل الله بها جبريل عليه السلام، كما تقدم بيان ذلك.

3- أن الروح القدس يسمى أيضا روح الله، ويسمى الروح، بدون إضافة ورد ذكر ذلك في التوراة والإنجيل والقرآن:

أ- ففي التوراة أنه يهب القوة: «فكان عليه روح الرب وقضى لإسرائيل وخرج للحرب»[2]، وجاء أيضا: «فحل عليه روح الرب فشقه كشق الجدي وليس في يده شيء»[3]، وجاء أيضا: «وحلّ عليه روح الرب فنزل إلى أشقلون وقتل منهم ثلاثين رجلا وأخذ سلبهم»[4]. وأنه يهب الحكمة والفهم والمعرفة: «وملأته من روح الله بالحكمة والفهم والمعرفة وكل صنعة»[5]. وأنه يهب قلبا جديدا وروحا جديدا: «وأعطيكم قلبا جديدا وأجعل روحا جديدا في داخلكم... وأجعل روحي في داخلكم وأجعلكم تسلكون في فرائضي وتحفظون أحكامي وتعملون بها»[6]، وغير ذلك من النصوص[7].

ب- جاء في الإنجيل أن الروح القدس مؤيد للمسيح في دعوته ومعجزاته، إذ جاء فيه: «وأما يسوع فرجع من الأردن ممتلئا من الروح القدس، وكان يقتاد بالروح في

1) الشعراء: 193-195.
2) القضاة 3: 10.
3) القضاة 14: 6.
4) القضاة 14: 19.
5) خروج 31: 3.
6) حزقيال 36: 26-27.
7) القضاة 15: 14.

البرية»[1]، وجاء فيه: «ورجع يسوع بقوة الروح إلى الجليل... وكان يعلم في مجامعهم»[2]، ويقول المسيح عليه السلام: «روح الرب علي لأنه مسحني لأبشر المساكين، أرسلني لأشفي المنكسري القلوب»[3]. وأن الروح هو الذي أيد المسيح في إجراء المعجزات، ففي سفر أعمال الرسل: «يسوع الذي من الناصرة كيف مسحه الله بالروح القدس والقوة الذي جال يصنع خيرا ويشفي جميع المتسلط عليهم إبليس لأن الله كان معه»[4]، فالروح القدس في هذه النصوص هو القوة التي أيد الله بها المسيح-عليه السلام- والتي استطاع بها صنع المعجزات وشفاء الأمراض، وهذه القوة العلوية التي تسمى الروح القدس ليست قوة مادية منظورة، وليست إلها قائما بذاته-كما يعتقد النصارى- وإنما هي قوة روحية قدسية من لدن الله تعالى، كما أيد بها من سبقه من أنبيائه ورسله وأوليائه الصالحين، وهذا هو المعنى الذي دل عليه قول المسيح عليه السلام: «إن كنت أنا بروح الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله»[5]، فالمسيح-عليه السلام- يشفى الأمراض ويخرج الشياطين بروح الله، أي بقوة من الله، ولا يتصور أحد أن روح الله التي يقصدها المسيح هنا هي الله ذاته، أو أنها جزء من الله[6]. ما جاء في الإنجيل أن المسيح-عليه السلام- أخبر تلاميذه أن روح الله يهب القوة والتأييد فقال: «وأنا أطلب من الأب فيعطيكم معزيا أخر ليمكث معكم إلى الأبد،

---

1) لوقا 4: 1.
2) لوقا 4: 14-15.
3) لوقا 4: 18.
4) أعمال الرسل 10: 38.
5) متى 12: 28.
6) روح القدس في عقيدة النصارى: مرجع سابق، ص 47.

روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه»[1]. وأنه يهب العلم: «وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الأب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم»[2]، وأنه الذي يلهم للحق: «لأن لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذي يتكلم فيكم»[3]، وأنه يجب الإيمان به وعدم الكفر به: «لذلك أقول لكم كل خطية وتجديف يغفر للناس، وأما التجديف على الروح فلن يغفر للناس، ومن قال كلمة على ابن الإنسان يغفر له، وأمَّا من قال على الروح القدس فلن يغفر له لا في هذا العالم ولا في الآتي»[4]. فهذه النصوص من التوراة والإنجيل تفيد أن حلول الروح القدس ليس خاصا بالمسيح –عليه السلام–، ولا بمن يزعم النصارى أنّه يلهمهم ويحلّ عليهم[5]، وإنما الروح هو الذي يؤيد الله به من يشاء من عباده، وهذا دليل على أن الروح ليس إلها كما يعتقد النصارى، وإنما هو ملاك من ملائكة الله، وهو جبريل عليه السلام.

ت– كما جاء في القرآن الكريم ما يصدق ما جاء في الكتب الإلهية السابقة عن حقيقة الإلهام والتأييد بالروح وصفاته والأعمال الموكولة إليه،من عدة أوجه[6]:

– أحدها الوحي الإلهي: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ

---

1) يوحنا 14: 16–17. أعمال الرسل 1: 8.

2) يوحنّا 14: 26.

3) متى 10: 20. مرقس 13: 11. لوقا 12: 12.

4) متى 12: 31–32.

5) أعمال الرسل 2: 4، 4: 31، 6: 3، 6: 5، 11: 22–24، 11: 22–24، 52: 13، 9: 13. لوقا 1: 41، 8: 67.

6) محمد بن أبي بكر بن قيّم الجوزية: الروح، ت السيّد الجميلي، (ط2)، دار الكتاب العربي: بيروت– لبنان، 1406هـ، ص 240–241.

أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾﴾[1] وقوله تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾﴾[2].

– الثاني: القوة والثبات والنصرة التي يؤيد بها من يشاء من عباده المؤمنين لقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾[3].

– الثالث: يأتي الروح بمعنى جبريل –عليه السلام– لقوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾[4]. وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾[5].

– الرابع: الروح التي سأل عنها اليهود,فأجيبوا بأنها من أمرالله؛ قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾[6].

– الخامس: المسيح بن مريم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾[7]. فكيف لا يضاف كل روح إلى الله وهو خالقها ومدبرها في جميع أحوالها؟ وأما تخصيص عيسى– عليه السلام– بالذكر، فللتنبيه

1) النحل: 2.
2) غافر: 15.
3) المجادلة: 22.
4) الشعراء: 193–195.
5) البقرة: 97.
6) الإسراء: 85.
7) النساء: 171.

على شرفه وعلوّ منزلته بإسناد الإضافة إليه[1].

كما ثبت في السنة النبوية، أن النبيّ ﷺ قال لحسان بن ثابت: «إن روح القدس معك ما دمت تنافح عن نبيه»[2]، وقوله: «اللهم أيده بروح القدس»[3]، ويستشهد ابن تيمية –رحمه الله– في هذا الحديث على عدم خصوصية المسيح بتأييد الروح القدس له دون سواه، فيقول: "فهذا حسان بن ثابت واحد من المؤمنين لما نافح عن الله ورسوله، وهجا المشركين الذين يكذبون الرسول أيده الله بروح القدس وهو جبريل –عليه السلام–، وأهل الأرض يعلمون أن محمدا عليه الصلاة والسلام لم يكن يجعل اللاهوت متحدا بناسوت حسان بن ثابت، فَعُلِم أن إخباره بأن الله أيده بروح القدس لا يقتضي اتحاد اللاهوت بالناسوت، فَعُلم أن التأييد بروح القدس ليس من خصائص المسيح، وأهل الكتاب يقرون بذلك، وأن غيره من الأنبياء كان مؤيدا بروح القدس، كداود وغيره، بل يقولون: إن الحواريين كان فيهم روح القدس، وقد ثبت باتفاق المسلمين واليهود والنصارى أن روح القدس يكون في غير المسيح، بل في غير الأنبياء"[4].

كما أن ابن تيمية –رحمه الله– بعد أن ذكر قول داود–عليه السلام–: «وروح قدسك لا تنزعه مني»[5]، عَدِمَ خصوصية الروح القدس بالمسيح عليه السلام فقال: «هذا دليل على أن الروح القدس التي كانت في المسيح من هذا الجنس، فعلم بذلك أن روح

---

1) أحمد بن إدريس القرافي: الأجوبة الفاخرة على الأسئلة الفاجرة، ت بكر زكي عوض، (دط)، مكتبة وهبة: القاهرة– مصر، (دت)، ص 82–86.

2) صحيح البخاري (دار الهدى للطباعة والنشر عين مليلة: الجزائر، 1992م) كتاب الصلاة رقم 453، وكتاب بدء الخلق رقم 3213.

3) صحيح مسلم (ط1)، دار الكتب العلمية: بيروت– لبنان)، كتاب فضائل الصحابة رقم 152–153.

4) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: مرجع سابق، (256/1).

5) المزامير 51: 11.

القدس لا تختص بالمسيح، وهم يسلمون ذلك، فإن ما في الكتب التي بأيديهم في غير موضع أن الروح القدس حلت في غير المسيح، في داود، وفي الحواريين، وفي غيرهم، وحينئذ فإن كان روح القدس هو حياة الله، ومن حلت فيه يكون لاهوتا، لزم أن يكون إلها، لزم أن يكون كل هؤلاء فيهم لاهوت وناسوت كالمسيح وهذا خلاف إجماع المسلمين واليهود، ويلزم من ذلك أن يكون المسيح فيه لاهوتان: الكلمة وروح القدس، فيكون المسيح من الناسوت: أقنومين أقنوم الكلمة، وأقنوم روح القدس، وأيضا فإن هذه ليست صفة لله قائمة به، فإن صفة الله القائمة به -بل وصفة كل موصوف- لا تفارقه وتقوم بغيره، وليس في هذا أن الله اسمه روح القدس، ولا أن حياته اسمها روح القدس، ولا أن روح القدس الذي تجسد منه المسيح، ومن مريم هو حياة الله سبحانه وتعالى، وأنتم قلتم: إنا معاشر النصارى لم نسمه بهذه الأسماء من ذات نفسنا، ولكن الله سمى لاهوته بها، وليس فيما ذكرتموه عن الأنبياء أن الله سمى نفسه، ولا شيئا من صفاته روح القدس، ولا سمى نفسه ولا شيئا من صفاته ابنا فبطل تسميتكم لصفته التي هي الحياة بروح لقدس، ولصفته التي هي العلم بالابن، وأيضا فأنتم تزعمون أن المسيح مختص بالكلمة والروح، فإذا كانت روح القدس في داود عليه السلام والحواريين وغيرهم، بطل ما خصّصتم به المسيح، وقد عُلم بالاتفاق أن داود عبد الله عز وجل، وإن كانت روح القدس فيه، وكذلك المسيح عبد الله وإن كانت روح القدس فيه، فما ذكرتموه عن الأنبياء، حجة عليكم لأهل الإسلام، لا حجة لكم»[1].

ويدل أيضا على عدم خصوصية الروح القدس بالمسيح،-عليه السلام- ولا بغيره، أن النصارى يقرون أن الروح القدس ناطق في الأنبياء، إذ قالوا في قانون إيمانهم المقدس:

---

1) المرجع السابق، (125/2).

«الناطق في الأنبياء»[1]، ويسمى —في زعمهم– حياة الله، وإذا كان كذلك فهذا باطل، إذ يقول ابن تيمية —رحمه الله–: « وحياة الله صفة قائمة به لا تحل في غيره، وروح القدس الذي يكون في الأنبياء والصالحين ليس هو حياة الله القائمة به، ولو كان روح القدس الذي في الأنبياء هو أحد الأقانيم الثلاثة لكان كل من الأنبياء إلها معبودا قد اتحد ناسوته باللاهوت كالمسيح عندكم، فإن المسيح لما اتحد به أحد الأقانيم صار ناسوتا ولاهوتا، فإذا كان روح القدس الذي هو أحد الأقانيم الثلاثة ناطقا في الأنبياء كان كل منهم فيه لاهوت وناسوت كالمسيح، وأنتم لا تقرون بالحلول والاتحاد إلا للمسيح وحده مع إثباتكم لغيره ما ثبت له»[2]، وقال —رحمه الله– في موضع أخر: «وهم إما أن يسلموا أن روح القدس في حق غيره ليس المراد بها حياة الله، فإذا ثبت أن لها معنى غير الحياة، فلو اُستُعمل في حياة الله أيضا لم يتعين أن يراد بها ذلك في حق المسيح، فكيف ولم يُستعمل في حياة الله في حق المسيح، وأما أن يَدَّعُوا أن المراد بها حياة الله في حق الأنبياء والحواريين، فإن قالوا ذلك لزمهم أن يكون اللاهوت حالاً في جميع الأنبياء والحواريين، وحينئذ فلا فرق بين هؤلاء وبين المسيح»[3].

وبهذا يتبين حقيقة الإلهام في المسيحية والإسلام وأن الروح القدس هو جبريل عليه السلام وبطلان اعتقاد النصارى ألوهيته وبطلان اعتقادهم خصوصية حلوله في المسيح أو على أتباعه دون سواهم.

---

1) حنانيا إلياس كساب: مجموعة الشرع الكنسي، (دط)، (دن)، (دت)، ص 247.

2) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: مرجع سابق، (120/2).

3) المرجع نفسه، (140/2).

الخاتمة

وبهذا نأتي على ختام هذه الدراسة العلمية النقدية في مسألة الإلهام ومصدرية إلهية الكتاب والتي تتمخض عنها النتائج التالية:

1/ أنّ المستقرئ للأناجيل لا يجد بأنّ أيّا منها صادرا عن ملهم يكتب وحيا، والشاهد من لوقا 3: 23: «ولمّا ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة، وهو –على ما كان يظن– ابن يوسف». فلفظة "نحو" "ويظن" لا تصدران عن ملهم جازم بما يقول.

وقد أزعجت هاتان العبارتان علماء الكنيسة، فحذفوها من طبعة الكتاب المقدس المنقحة الإنجليزية.

2/ المتأمل في رسائل بولس خصوصا، والحواريين عموما يجد عشرات المواضع التي تشهد لهذه الرسائل بأنها شخصية ولا علاقة للوحي بها، من ذلك قول بولس نفسه في كورنثوس الأولى 7: 25 « وأمّا العذارى فليس عندي أمرٌ من الربّ فيهن ولكنني أعطي رأيا»، فهل نصدق بولس وهو يصف كلامه هنا بأنّه رأي شخصي، أم نصدق الكنيسة التي تزعم بأنّ هذه العبارات ملهمة من الله ووحي منه؟

ويقول بولس في موضع آخر من كورنثوس الثانية 11: 1 «ليتكم تحتملون غباوتي قليلا». فهل أوحي له أن يصف نفسه بالغباء، وهل الله يعتذر؟ ويخشى أن يكون ملهمه قد أثقل على أولئك الذين يقرؤون رسالته!

3/ الأحداث المهمة التي لا يصح أن يغفل عنها أو يغفلها الملهم، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

– صعود المسيح إلى السماء L'ascensions، وهو حدث بالغ الأهمية، ومع ذلك لم يذكره التلميذان: متى ويوحنا، اللذان يفترض أنهما شاهدا المسيح وهو يصعد إلى السماء، بينما ألهم لوقا ومرقس الغائبان يومذاك ذكر هذا الخبر!

-كما يستغرب من يوحنا الذي لم يذكر شيئا عن العشاء الأخير —على أهميته— وشهوده له إبّان حياة المسيح!

فممّا تقدم يظهر جليا أن الكتاب المقدس جهد بشري خالص لم يقصد كاتبوه —ما عدا بولس— أن يسجلوا من خلاله كتبا ملهمة. وإذا كان التلاميذ غير عارفين بإلهامية ذواتهم وبعضهم فكيف عرف النصارى ما جهله أصحاب الشأن؟ فلا دليل في الأناجيل على إلهامية أحد منهم، إلاّ ما ادعاه بولس لنفسه! وإن كان ينفي عن نفسه صفة القداسة كما جاء في كورنثوس الثانية 11: 16-17 «الذي أتكلم به، لست أتكلم به بحسب الرب بل كأنه في غباوة (...) أقول كمختل العقل: فأنا أفضل...» فهل ألهمه الروح أن يصف نفسه بالغباوة واختلال العقل...!

4/ إن الروح والإلهام ليس خاصا بالمسيح فقط ولا بمن زعموا حلوله عليهم، بل إن الله أيد به الأنبياء والرسل السابقين وعباده المؤمنين ونصوصهم شاهدة في أن روح القدس حل في كثير من الأنبياء، وفي الحواريين وفي غيرهم، وأنه يأتي بمعنى القوة والنصر والتأييد وبمعنى الوحي وهو أيضا اسم لجبريل —عليه السلام— وهذا يرد باطلهم في الاعتقاد بألوهيته خلاف ما أخبر الله عنه في الكتب الإلهية.

هذه إذن حقيقة الإلهام بين المسيحية والإسلام؛ ولكنّ الذين في قلوبهم زيغ يلوون ألسنتهم بالكتاب لنحسبه من الكتاب وما هو من الكتاب، ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وما يعلم تأويله إلا الله...!

